السرد الروائي وثنائية التضاد في أدب الاغتيالات والسجون

من منظور جريماس

Narrative Novelist and Bi-antithesis in the Literature of Assassinations and Prisons

أ.د. مراد عبد الرحمن مبروك [1]

[1] كلية الآداب والعلوم – جامعة قطر، البريد الالكتروني:mo.hassan@qu.edu.qa

تاريخ الاستلام: 2019/05/27 تاريخ القبول: 2019/12/28 تاريخ النشر: 2020/06/17

ملخص

يعنى هذا البحث بالأدب الروائي الذي جسد صورالسجن والاغتيالات في الواقع المعيش سواء أودع صاحبه السجن أم لا . وهناك أعمال عالمية عديدة جسدت هذا النوع من الأدب لاسيما الأدب الروائي

وإذا استثنينا أدب الرعب والروايات البوليسية ورواية المغامرات التي تقترن بالجوانب الميتافيزيقية أكثر من اقترانها بالواقع ، فربما تحتل الرواية العربية مكانة متقدمة في الروايات العالمية التي اقترنت صور الاغتيالات والسجون فيها بالواقع المعيش نذكر منها على سبيل التمثيل ؛ " على باب زويلة " لمحمد سعيد العريان و " اللص والكلاب " لنجيب محفوظ ، و " والشمندورة لمحمد خليل قاسم ، وشرق المتوسط " لعبد الرحمن منيف ، و" الغرف الأخرى " لجبرا إبراهيم جبرا ، و" صخب الهمس " لحسن البنداري ، وغيرها من الأعمال الروائية العربية .

ولما كان أدب الاغتيالات والسجون في الرواية العربية يقترن بثنائية التضاد نتيجة التناقض بين ما هو كائن وما يجب أن يكون لذلك حاولنا تطبيق هذه الرؤية على الروائي حسن البنداري لاسيما روايته "

المؤلف المرسل: مراد عبد الرحمن مبروك

صخب الهمس " 2009 م ، وهو يعد واحدا من الروائيين العرب الذين واكبوا حركة الإبداع الروائي العربي في العقود الأخيرة .

وقمنا بالتطبيق على هذه الرواية – على سبيل التمثيل وليس الحصر – لكونها واحدة من الروايات التي عبرت عن أدب الاغتيالات ، وجسدت المتغيرات الحياتية التي مر بها المجتمع العربي ، فضلا عن أن الروايات العربية الأخرى تناولتها دراسات عديدة ، وتم معالجة هذه الروئية من خلال ثلاثة محاور هي :

1 – الدور الوظيفي للشخصية.

2 – طبيعة السرد وعلاقته بالشخصية.

3 – الرؤية السردية للشخصية.

وقد تم معالجة هذه المحاور من منظور نظرية جريماس ربما لكونها واحدة من أهم النظريات السردية المعاصرة التي تتوافق والتطبيق على التناقض الكائن بين ما هو كائن وما يجب أن يكون .

الكلمات المفتاحية :

السرد الروائي – ثنائية التضاد – أدب الاغتيالات – الرؤية السردية – الدور الوظيفي للشخصية .

Abstract

This research is concerned with the novelist literature, which embodied the images of imprisonment and assassinations, in the real life whether the author entered the prison or not. There are many international works that embody this type of literature, especially fiction literature

Apart from the narratives of horror, thriller fictions, and adventures that are associated with the metaphysical aspects rather than the reality, the Arab novel may take an advanced place in the international narratives that were accompanied by images of assassinations and prisons. For example The Thief and the Dogs "by Naguib Mahfouz," Al Shamandoura by Mohammed Khalil Qasim, Eastern Mediterranean "by Abdel Rahman Manif," Other Rooms "by Jabbra Ibrahim Jabra, and" Hustle of Whisper "by Hassan Al-

Bandari. And other works of Arabic fiction

Since the literature of assassinations and prisons in the Arab novel is coupled with the dual antagonism as a result of the contradiction between what is existing and what should be so we tried to apply this vision to novelist Hassan al-Bendari especially his novel "Hustle of whisper" in 2009, and he is one of the Arab novelists who accompanied the Arab novelist creativity Arab conflict in recent decades.

We have applied upon this novel - For example, but not limited- because it is one of the novels that expressed the literature of assassinations, and embodied the life variables experienced by the Arab society, as well as that the other Arab novels dealt with many studies, and was addressed this novel through three axes are:

1-The functional role of personality.

2- Nature of the narrative and its relationship to personality.

3-The narrative vision of the personality.

These axes have been addressed from the perspective of Grimas theory perhaps because it is one of the most important contemporary narrative theories that correspond to and apply to the contradiction between what is being and what should be.

لا نعنى بأدب الرعب أو السجون الأعمال التي يكتبها أصحابها داخل السجن فحسب ولكننا نعنى به الأدب الذي جسد صور السجن والاغتيالات في الواقع المعيش سواء أودع صاحبه السجن أم لا .

ومن أبرز الأمثلة التاريخية من أدب السجون كتاب بوثيوس عزاء الفلسفة (524 م) الذي وصف بأنه "أكثر أمثلة أدب السجون إثارة في العالم على الاطلاق."[1] لم يجد ماركو بولو الوقت والإلهام للكتابة عن رحلاته إلى الصين إلا بعد عودته وإيداعه في سجن جنوا من 1296-1299. دانتي أليغييري (1265-1321) كتب رائعته (الكوميديا الإلهية) في السنوات الأخيرة من منفاه بعيدا عن حبيبته في مدينة فلورنسا. وميغيل دي سرفانتس كان أسيرا على سفينة بين 1575 و 1580 الفترة التي كانت مصدر إلهام بالنسبة لروايته دون كيشوت (1605). السير والتر رالي جمع المجلد الأول من كتابه تاريخ العالم ،في غرفة احتجاز في برج لندن ، لكنه كان فقط قادرا على إكمال المجلد 1 قبل إعدامه.[2][3] جون بنيان كتب رحلة الحاج (1678) أثناء وجوده في السجن. كما قام مارتن لوثر

بترجمة العهد الجديد إلى الألمانية في حين احتجز في قلعة فارتبورغ. الماركيز دي ساد كتب بغزارة خلال فترة 11 عاما في سجن الباستيل ، أنجز فيها 11 رواية ، 16 قصة قصيرة ، مجلدين من اليوميات و 20 مسرحية ." ([1])

وإذا استثنينا أدب الرعب والروايات البوليسية ورواية المغامرات التي تقترن بالجوانب الميتافيزيقية أكثر من اقترانها بالواقع ، فربما تحتل الرواية العربية متقدمة في الروايات العالمية التي اقترنت صور الاغتيالات والسجون فيها بالواقع المعيش نذكر منها على سبيل التمثيل ؛ " على باب زويلة " لمحمد سعيد العريان و " اللص والكلاب " لنجيب محفوظ ، و " شرق المتوسط " لعبد الرحمن منيف ، و" الغرف الأخرى " لجبرا إبراهيم جبرا ، و" صخب الهمس " لحسن البنداري وغيرهم

ونستطيع القول إن أدب الاغتيالات والسجون في الرواية العربية اقترن بثنائية التضاد على مستوى الشخصية أو الحدث أو اللغة أو المشهد الروائي ، نتيجة التناقض بين ما هو كائن وما يجب أن يكون .

ونسيطيع القول إن العلاقة بين السرد وتشكيل الرواية علاقة تفاعلية , لأن السرد هو المجسد للشخصية والحدث والمكون للهيكل الروائي ,كما أن السرد الروائي Narrationهو الخطاب الملفوظ أو المكتوب الذي يخبرنا بالعالم المطروح في الرواية, ويعني بالتواصل المستمر الذي من خلاله يبدو الحكي Narrative كمرسلة يتم إرسالها من مرسل إلى مرسل إليه , والسرد ذو طبيعة لفظية لنقل المرسلة.

والسرد يعد مكوناً رئيساً في كل النسيج الروائي ، ونقف على سبيل التمثيل عند الروائي حسن البنداري وهو يعد واحد من الروائيين الذين واكبوا حركة الإبداع الروائي في مصر في العقود الأخيرة , فقد صدر له عدة روايات هي : العائد بالحب، وسلوى الروح، وفوق الأحزان، و " صخب الهمس " وغيرها ، و جميعها تجسد المتغيرات الحياتية التي مر بها المجتمع المصري منذ الستينيات من القرن الماضي وحتى الآن .

وتطبيقنا على رواية " صخب الهمس " ينطلق من كونها واحدة من الروايات التي تعبر عن أدب الاغتيالات ، فضلا عن أن الروايات الأخرى تناولتها دراسات عديدة كما أنها تعد واحدة من الروايات المعبرة عن الواقع المعيش في العقد الأخير فقد صدرت في نهايات 2009م . فضلاً عن كونها تجسد الطابور الخامس الذي استشرى في المجتمع المصري في العقود الأخيرة، هذا الطابور الذي جسد الفساد

بكل صوره وأشكاله , وقضى على كل القيم الإيجابية في الواقع المعيش، وتآمر على الشرفاء والعلماء والوطنيين وأصحاب المبادئ والمواقف الإنسانية الرفيعة. ولعلي لا أكون مبالغاً حين القول إنها تعد واحدة من الروايات القليلة التي صدرت في الآونة الأخيرة , وجسدت المتغيرات الحياتية التي مر بها المجتمع العربي بعامة والمصري بخاصة.

وتستند هذه الدراسة إلي ثلاثة أبعاد هي :

1 – الدور الوظيفي للشخصية.

2 – طبيعة السرد وعلاقته بالشخصية.

3 – الرؤية السردية للشخصية.

أولا : الدور الوظيفي للشخصية :

ويعني به الدور الذي تقوم به الشخصية في الرواية ونستند في معالجة هذا المحور إلى تصور جريماس الذي يربط بين الشخصية الفاعلة والشخصيات المضادة والمساعدة لها , وغاية الفعل , وذلك من خلال محوري الصراع والرغبة , والشكل التالي يوضح طبيعة هذا التصور:

تطبيق محور الصراع والرغبة من منظور جريماس

على رواية " صخب الهمس "

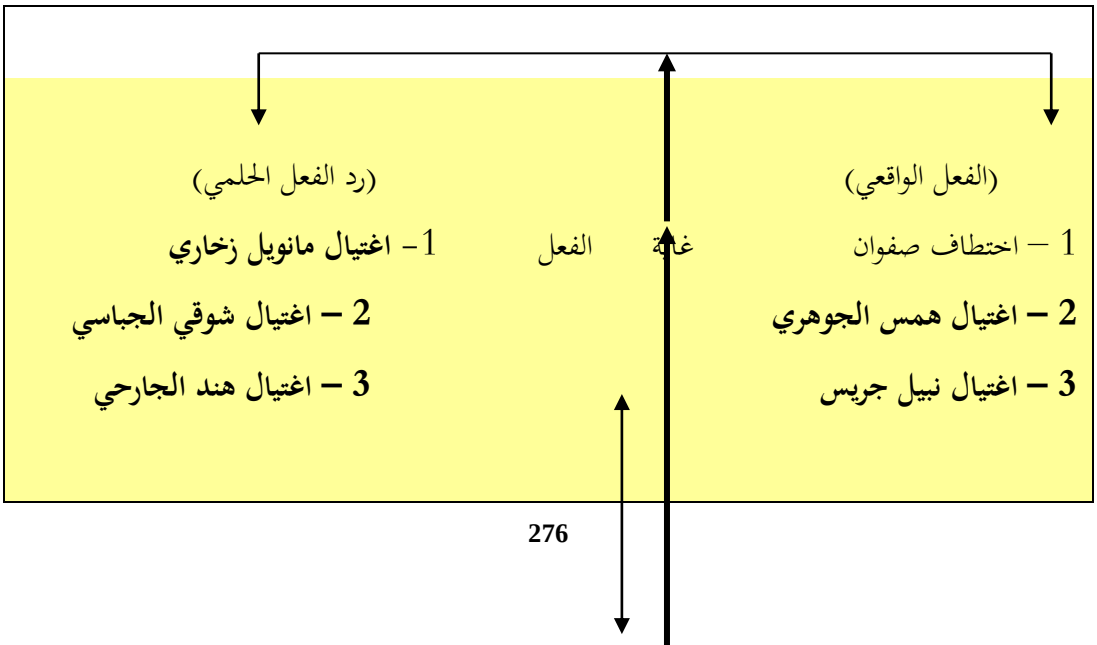

1 – التخلص من العملاء والخونة

محور الرغبة 2 – الحفاظ على الأمن القومي للوطن

3 – الحفاظ على تراث الوطن

محور الصراع

المضادون	الفاعلون	المساعدون
1 – مانويل زخاري	1– رشيد الكاشف	1– همس الجوهري
2 – شوقي الجباسي	2– صفوان الكاشف	2 – نبيل جريس
3– هند الجارحي		3 – أشـــــــرف الساعي
4– عزام البواب		4– ماهر الغمراوي
5– بهادر الجبالي		5 – مجدي الصياد
		6 – مسعد نور
		7 – هشام الدواخلي
		8 – فهمي الطنطاوي
		9 – أحمد كامل
		10– بثينة الكاشف

وبالتطبيق على رواية صخب الهمس لحسن البنداري نجد اعتماد السرد علي ثنائية التضاد في معالجته للدور الوظيفي للشخصية , حيث يتشكل هذا الدور على النحو التالي :

1 – الفاعلون :

ويعني بهم الأشخاص الذين لهم دور ايجابي في أحداث الرواية ويشكلون محورا بارزا فيها , واهم هذه الشخصيات, شخصية رشيد الكاشف الذي يعد الراوي الرئيس في العملية السردية , وشخصية صفوان الكاشف الذي دارت حوله العملية السردية في كل الرواية .

- أما عن الدكتور رشيد الكاشف فيسرد الراوي عنه انه تفوق علمياً حتى حصل على الدكتوراه في الجراحة من جامعة هارفارد سنة 1990م , وحصل على أوسمة وشهادات تقدير وقصائد مديح عديدة من المرضى في العقود الأخيرة. لكنه حين استقر في مصر وجد المآسي المتعاقبة من حيث قتل الجنود المصريين علي الحدود مع العدو الصهيوني، وسفك دماء الأطفال والنساء والعجائز في غزة دون حراك , حينئذ شعر بالمهانة والضيق. فظل رشيد طوال الرواية باحثاً عن قيم الحق والعدل والحرية باحثا عن أخيه صفوان الذي اختفى فجأة في ظروف غامضة , واستمر في رحلة البحث المضنية عنه وجريمته أنه صاحب قلم حر جريء , ومقاتل في حرب الاستنزاف وحرب 1973م.

وتداعت علي وعيه طوال الرواية المواقف البطولية لأخيه سواء في الاشتراك في الحروب أو في الكتابة الوطنية الحرة . ثم ينتقل الراوي إلي سرده زواج رشيد من هند الجارحي , واكتشف أنهما مختلفان في الاتجاهات والأهواء والمواقف حينما جلسا معاً ذات مرة في غرفة مكتبه وكان حزيناً وهو يشاهد المدافع الصهيونية تدك مدينة غزة , بينما كانت هند لا تعني بشيء وتذكر أن المدينة لن تصمد وسوف تسقط .

وظل رشيد ينظر إليها بريبه عندما أبلغه ابن شقيقته الضابط مجدي الصياد بأنه يراقب المركز الذي تديره زوجته هند , متشككاً في عملها لأن المركز رئيسه الأعلى مانويل زخاري وهو روماني أمريكي , ويرأس المركز رجل أعمال مصري هو شوقي الجباسي ، وظل في حالة قلق من زوجته هند حتى في لحظات النوم معها على سرير واحد، يقول " واتخذت مكاني في السرير , نمت علي جانبي الأيمن وأنا شارد مغمض العينين . أطفأت هند النور . مدت يديها وعبثت بكتفي وراسي وصدري . تحولت إليها في

الظلام بعقل شارد وقلب مشغول مهموم بما شاهدت , وبما سمعته من ابن شقيقتي الضابط مجدي الصياد "([2])

وظل رشيد في حالة صراع داخلي تجاه زوجته هند هل يستمر معها أم ينفصل عنها لأنها دائمة التنصت عليه ، ويصل رشيد إلى قمة التوتر عندما يهاتف صفوان ثم ينقطع الصوت أثناء الاتصال وبعدها يختفي أخوه وتبدأ رحلة الصراع الداخلي والخارجي.وكثيراً ما تتداعى صورة هند على وعي رشيد بالخيانة والتوجس منها بينما صورة همس تتداعى بالإخلاص والحب والمواقف.

ويواصل رشيد رحلة البحث عن أخيه صفوان ويبلغ شرطة الدقي. ويعد محضرا باختفائه في حضور الرائد هشام الدواخلي رئيس مباحث الدقي، وبهادر الجبالي أمين الشرطة الذي يحرر المحضر. وواصل رحلة البحث عن مختطفي أخيه من خلال متابعة المحاضر مع نيابة الدقي ، وشعر بالخطر حول همس ونبيل , لأن همس معها مخطوط لصفوان ولابد أن تلاحق حتى أنه شاهد أمين الشرطة بهادر الجبالي , والبواب عزام يستقلان سيارة شيروكي بصحبة مختطفي أخيه لكنها اختفت عن عينه.

وازدادت صدمته عندما علم باشتراك زوجته في جريمة اختفاء أخيه , واشتد توتره عندما علم بتهديد المجرمين لهمس ، وتتداعى على وعيه صور المتآمرين على الوطن ، وعلى همس واختفاء أخيه، وعندما واجه رشيد زوجته بتورطها في الجريمة أشهرت المسدس في وجهه وهربت ، ويشتد ضيق رشيد من الخيانات المتكررة للوطن ويحاول ملاحقة هند وشوقي عندما لمح زوجته هند تستقل السيارة الشيروكي مع شوقي الجباسي , لكن ذلك يتم حلماً.ويظل في صراع بين ما هو كائن وما يجب أن يكون .

وانتقل رشيد إلى القاهرة ليسكن في شقة قريبة من شقة أخيه صفوان وليكون قريباً من موقع الحدث, ويخشى على همس من زوجها شوقي الجباسي , ويشتد يأسه عندما علم باغتيال وكيل النيابة ماهر الغمراوي , فهو رمز لاغتيال العدالة ويحزن لأن أمن الوطن مستباح من كل حدب وصوب , ويشتد غضبه أكثر عندما تغتال همس بطعنتين في رقبتها ويعبر عن ذلك بحزن اليم , ويستمر مسلسل الاغتيالات للشرفاء والنبلاء والغيورين على الوطن فيغتال صديقه نبيل جريس اسطفانوس خنقا بغاز البوتاجاز.ويصاب رشيد بالعجز عن الكلام عند عزائه في صديقه نبيل .

ويلتقي في النهاية بأشرف الساعي الذي يطلب منه العودة إلى عمله في عيادته ويثأر الساعي من كل العملاء والمتآمرين والجواسيس. وتم التخلص في النهاية من كل العملاء على يديه من مانويل زخاري وبهادر الجبالي والسائق وشوقي الجباسي وهند الجارحي خنقا بالغاز . وهنا نجد شخصية رشيد تظل طوال عملية السرد في حالة صراع داخلي وخارجي بين قوي التآمر والطغيان التي تدمر كل دعائم الوطن والقوي الوطنية المحاصرة التي لا تجد للخلاص سبيلا غير الكلام في الصحف والمؤتمرات وغيرها . إنها ثنائية مريرة وقاتلة لأن التناقض استشرى في البيت الواحد بين الرجل وزوجته وبينها وبين أطفالها .

- أما صفوان فيعد الفاعل الرئيس في الرواية , على الرغم من عدم قيامه بتغيير مادي في الواقع المعيش , بل لم يظهر في الرواية بصورة مباشرة، لكن سرديته اقترنت بسرد الآخر عنه طوال الرواية ، وكأنه الفاعل الحاضر والغائب في آن واحد. ففي بداية الرواية يأتي ذكره على لسان شقيقه رشيد الكاشف يقول : انتبهت على اتصال بتليفوني المحمول من شقيقي صفوان الكاشف المقيم بالجيزة أمام النيل، صحفي ناجح، مقالاته مثيرة بالصحف المصرية والعربية والعالمية , خريج اقتصاد وعلوم سياسية أصدر خمسة عشر كتاباً , خمسة منها باللغتين الإنجليزية والفرنسية وهو مراسل متجول في أنحاء المعمورة لصحيفة الشهاب واسعة الانتشار. (3)

ويعد صفوان المحرك الرئيس لكل أحداث الرواية فهو مناوئ شرس لأهداف الدولة العبرية المعلنة والخفية ولهيمنة القطب الأوحد على دول العالمين الشرقي والغربي , ولكونه اكتوى بنار حرب الاستنزاف وحرب 1973م فإنه لا يترك مناسبة إلا وينبه لخطورة الكيان الصهيوني ولم يلق بالاً إلى رسائل التهديد والترهيب والترغيب , وحصل على نجمة سيناء بعد اقتحامه موقعاً حصيناً وراء خط بارليف وإصابته لدبابة وأسره لمن فيها، وكان يدرك أن المعركة مع العدو مستمرة برغم اتفاقيات كامب ديفيد وغيرها.وفي كل

الرواية يرد الحديث عن صفوان على لسان شقيقه رشيد وأصدقائه مثل نبيل جريس، وهمس الجوهري ، وأحمد كامل، وأشرف الساعي.

وبدأ صفوان في الرواية متوترا يشعر بجريمة معينة تدبر له، وكان دائم التوجس من هند الجارحي زوجة أخيه، وتجسد فكر صفوان الكاشف في مخطوطاته التي تركها مع أخيه رشيد وتلميذته همس، وفي هذه المخطوطات كان شديد التحذير من مؤامرات العدو الصهيوني واختراقه لشخصيات مصرية داخل الوطن , ومنهم رجل الأعمال شوقي الجباسي، وهند الجارحي ، والبواب عزام، وأمين الشرطة بهادر الجبالي وغيرهم من النماذج المختلفة التي تم تجنيدها لحساب مخططات العدو

يقول صفوان في أحد مخطوطاته "كما شكوت إلى مدير الأمن العام، والوزير، لأن البلاد مستباحة بعملاء منذ التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد، يعبثون في أنحاء البلاد ويدبرون بليل دون رادع وثمة محاولات لزعزعة أمن البلاد في مدن ومحافظات ومؤامرات تبث الفتنة الطائفية , وتحدثت إلى وزارة الخارجية وبعض رجال المخابرات بشأن قيام بعض العملاء بتنظيم مظاهرات في أمريكا وفرنسا وبريطانيا مناوئة للدولة للمطالبة بإنشاء دولة مسيحية في الجيزة والصعيد , وإثارة القلاقل في سيناء لعزلها في دولة مستقلة , ها هي حال القوي التي تدبر ولا تتوقف عن التدبير, يحركون عملاء يعيشون بيننا ويجندون منا , وعملاء يفدن في إطار سياحي يتسترون به في الظاهر ..... لديك وثائق مع المظروف تدين وتفضح العملاء والمدبرين أمام شعبنا وشعوبهم وخرائط لأعالي النيل تهدف إلي خنق الوطن ".(4)

وهكذا يستمر صفوان في مذكراته محذراً من تآمر الأعداء والخونة داخل الوطن وخارجه.وعندما تآمر عليه الخونة واختطف من شقته وظل مختفياً حتى نهاية الرواية كانت مذكراته ومخطوطاته منارات تضيء الطريق للأحرار والوطنيين والعلماء والمخلصين من أبناء الوطن أمثال رشيد الكاشف، وهمس الجوهري، ونبيل جريس، وأشرف الساعي، وماهر الغمراوي وغيرهم. وكانت غاية الفعل لدى هؤلاء تتمثل في تخليص الوطن من المتآمرين والدخلاء والعملاء والمفسدين أمثال مانويل زخاري، وهند الجارحي، وأشرف الساعي وغيرهم.

2 – المساعدون

تتمثل الشخصيات المساعدة في الشخصيات التي تساعد على تحقيق غاية الفعل وتحقيق الرغبة، وفي هذه الرواية نجد أهم الشخصيات المساعدة في تحقيق ذلك هي نبيل جريس اسطفانوس، همس الجوهري، أشرف الساعي , رئيس النيابة ماهر الغمراوي، العميد البحري أحمد كامل، والضابط مجدي الصياد، والرائد هشام الدواخلي، والتاجر فهمي الطنطاوي، والملازم عصام البحراوي , وبثينة الكاشف . فشخصية همس الجوهري ظلت مخلصة لأفكار أستاذها الصحفي صفوان من حيث العداء للعدو الصهيوني المتآمر على الوطن، وتقف إلى جانب رشيد في البحث عن صفوان، وتهاجم الصحيفة الإسرائيلية في أحد المؤتمرات عندما تحاول تضليل الحقيقة، وتكشف همس في حواراتها ومقالاتها خطط الخونة والمتآمرين وزيف سياسة القطب الواحد المنحازة للكيان الصهيوني تقول همس للصحيفة الإسرائيلية: "إن المستفيد الوحيد من سياسة القطب الأوحد هو الدولة العبرية التي توالي اغتصاب الأرض الفلسطينية وأراضي عربية أخرى، فهي دولة توسعية تمارس سياستها تحت سمع دولة القطب الأوحد وبصرها". ص 65.

وتحافظ همس على مخطوطة أستاذها صفوان حتى تسلمها لأخيه رشيد، وهومخطوط سري أيضاً يكشف مخططات العملاء والخونة ضد الوطن وتنشر مقالات عديدة تكشف زيف المتآمرين الذين اغتالوا رئيس النيابة ماهر الغمراوي، واختطفوا صفوان من منزله . ومثلما لقي نبيل جريس حتفه على يد المتآمرين الخونة، فقد لقيت همس الجوهري المصير نفسه بطعنة سكين في رقبتها لفظت أنفاسها على أثرها تاركة رسالة تحث المناضلين على مقاومة العدو والطابور الخامس داخل الوطن. يقول نبيل لرشيد باكياً : " همس .. همس طعنها في رقبتها صباح اليوم شاب مقنع وهي داخل سيارتها تستعد للتحرك".(5) وتحذر في الورقة التي تركتها قبل وفاتها وأعطتها لأختها ناهد لتسلمها لنبيل ورشيد، تحذر من مانويل زخاري العميل والجاسوس الأجنبي الذي يدبر ويخطط لاغتيال الشرفاء والوطن بمشاركة الخونة من رجال الأعمال المصريين أمثال شوقي الجباسي والساقطات أمثال هند الجارحي. فنجد شخصية نبيل جريس الذي يعمل أستاذاً جامعياً يقف إلى جانب رشيد الكاشف ويواصل البحث معه عن رفيق دربهم صفوان الكاشف ويحافظ على مخطوطات صفوان، ويحاول التوفيق بين عمله بالجامعة والبحث عن الحقيقة من خلال المخطوطات السرية التي كتبها صفوان ويحاول من خلالها كشف خطط المتآمرين على الوطن يقول الراوي "

عند الدكتور نبيل جريس مخطوطات كتاب "استراتيجية الدولة العبرية" هو آخر ما كتبه صفوان وبه أفكار وأسماء ومعه أوراق أرى أنها تفيد في عملية الكشف عن العملاء والجناة" ص 176.

ولكن عندما علم الخونة أرباب الطابور الخامس بما يملكه من حقيقة لكشفهم اقتفوا أثره حتى اغتالوه على سريره بتسرب غاز البوتاجاز .ومن الشخصيات المساعدة الرئيسة التي كان لها دور بارز في الفعل وتحقيق الرغبة أشرف الساعي فهو صديق لصفوان منذ أن كانا معاً في حربي الاستنزاف وأكتوبر 1973م، ومحارب قديم حريص على أمن الوطن وتحريره من الدخلاء والعملاء والخونة , الذين يسرقون انتصارات الأبطال وأحلامهم ويحولونها إلى ماخور للسقوط وجمع الأموال.

وقد نصح صفوان أخاه رشيد أن يلجأ إلي أشرف الساعي عند الضرورة، فهو مثال للمخلص القادم الذي يطهر الواقع من الفساد والضياع. وفي نهاية الرواية عندما يلجأ اليه رشيد بعد مقتل همس ونبيل ومطاردة الخونة له , نجده ينتقم من هؤلاء العملاء ويدبر لمقتل مانويل زخاري رأس الأفعى المدبر لكل مصائب الوطن ويقتله خنقاً بغاز البوتاجاز، وكذلك الأمر قتل أشرف الساعي وهند الجارحي بالطريقة نفسها إنه المخلص القادم الذي ينتظره البسطاء والشرفاء والوطنيون ليطهروا الواقع من مفاسده.

ويعد ماهر الغمراوي رئيس النيابة أحد الشخصيات المساعدة، فقد تحمس للقضية وأخذها على عاتقه، وظل يتتبع المجرمين والخونة حتى إذا ما أوشكت الحقيقة أن تبين وتنكشف ملامحها قتله الخونة بغاز البوتاجاز خنقاً في مسكنه. يقول عنه زميله وكيل النيابة لرشيد : "كاد يصل إلى الجناة أخبرني مساء أمس أنه اقترب من الوصول إلى سر اختفاء صفوان الكاشف، ولن يتراجع عن الإيقاع بهم". 6

إن اغتيال ماهر الغمراوي على يد القتلة والمجرمين والسفاحين والعملاء والخونة يجسد اغتيال العدالة التي يتطلع إليها الوطن. ونجد مجدي الصياد ضابط أمن الدولة وابن أخت رشيد الكاشف يقوم بدور مساعد في الكشف عن الجريمة ويوآزر خاله في محنته ويقوم بمراقبة المركز المشبوه الذي تديره هند الجارحي وشوقي الجباسي ومانويل زخاري، ويطلع خاله على الممارسات المشبوهة من خلال مراقبتهم لهذا المركز ويتردد علي منزل خاله رشيد لمتابعته الحوادث والمتغيرات.يقول الراوي : " منذ أيام أسر لي النقيب بمباحث

أمن الدولة مجدي الصياد وهو ابن شقيقتي الكبرى بثينة بأن توجيهات عليا صدرت إلينا بوضع المركز تحت المراقبة لأنه يمارس نشاطاً خفياً ضد مصالح الوطن". 7

وهكذا نجد مجدي الصياد شخصية مساعدة طوال الرواية ومتابع للأحداث وتطوراتها حتى أنه مكث في شقة خاله رشيد بصحبة أمه بثينة لحماية الطفلين أكرم وعزيز ابني خاله خشية تعرضهما لقتل أو اختطاف من الخونة والعملاء.ومن الشخصيات المساعدة أيضاً فهمي طنطاوي صاحب السوبر ماركت المجاور لعمارة صفوان فهو يسرد الحقيقة للنيابة دون خوف أو زيف عندما استدعى للشهادة في اختفاء صفوان، وكذلك الأخت بثينة توآزر أخاها في محنته وتأتي من طنطا لترافق ابني أخيها في بيته وتقوم على رعايتهما حتى نهاية الرواية.وهشام الدواخلي رئيس مباحث الدقي الذي يعطي القضية اهتماماً ويكثف البحث عن المجرمين الذين اختطفوا صفوان .

وهكذا نجد الشخصيات المساعدة والفاعلة تقف في خندق واحد ضد قوي البغي والطغيان والفساد المستشري في الوطن ومن هنا تتشكل ثنائية التضاد بين الفاعلين والمساعدين من جهة والمضادين من جهة أخري .

3 – المضادون :

هم الأشخاص الذين يقفون ضد تحقيق الرغبة أو الفعل الإيجابي الذي يتطلع إليه الفاعلون. وفي رواية حسن البنداري " صخب الهمس " تتمثل هذه الشخصيات في مانويل زخاري ، وشوقي الجباس، وهند الجارحي، وعزام البواب، وبهادر الجبالي.

ويمثل مانويل زخاري قمة الشخصيات المضادة، فهو الرئيس الأعلى لمركز "معارف الشرق الأوسط لحقوق الإنسان" وهو مركز يقوم بأعمال مشبوهة ضد مصلحة الوطن، وما نويل شخصية رومانية وأمريكية في آن واحد، يتخفى تحت مسمى خبير اقتصادي، لكنه في الأصل عميل للقوى المعادية يقوم بالتدبير لاغتيال الشخصيات الوطنية والعلمية وصاحبة المواقف والمبادئ والحريصة على أمن الوطن واستقراره، والتي تستطيع بدراستها كشف المؤامرات التي يقوم بها زخاري وأعوانه، لذلك خطط لاغتيال كمال وهدان،

العالم الكبير المعني بشؤون مصر مكانياً وزمانياً بسبب مخطوطة الذي كشف فيه مؤامرات مانويل وأعوانه يقول الراوي : " للأسف الوطن مهدد مساء , أمس اغتيل عالم الجغرافيا الدكتور كمال وهدان بمنزله بالدقي وهو نائم نتيجة تسريب غاز البوتاجاز". 8 وذلك بسبب تأليفه كتاب عن تاريخ القوميات الاستعمارية وعدم شرعية الدولة العبرية المجاورة.

ولم يكتف الجاسوس مانويل زخاري بمقتل العالم كمال وهدان بل أخذ يخطط لاغتيال الشرفاء من الصحفيين والعلماء والوطنيين وغيرهم. يقول الراوي : "استدعيت المصعد الذي ارتفع في أقل من دقيقة، الطابق السادس عبارة عن شقة واحدة، يتوسط بابها لافتة تحمل اسم " مانويل زخاري " خبير اقتصادي، اقتربت من الباب قليلاً وأصخت بسمعي تنامي صوت البواب

– فكروا في طريقة أنا خائف

فأجابه صوت لم أسمعه من قبل بلكنة أجنبية

– لا تخف كل شيء معمول حسابه"9

وهكذا يستمر مانويل زخاري في تجنيد الرجال والنساء الانتهازيين الذين يتطلعون لمصلحتهم فقط أمثال شوقي الجباسي وهند الجارحي . فيتم اغتيال همس الجوهري، ونبيل جريس.أما شوقي الجباسي وهند الجارحي فيتلازمان معاً ليلاً ونهاراً في المركز لتنفيذ التخطيط الذي يدبره مانويل زخاري , فشوقي يعمل رئيساً للمركز وهند مديرة له , ويكتشف رشيد الكاشف زوج هند استعداد زوجته للسقوط والخيانة عندما تناقش معها ذات يوم الحرب على مدينة غزة فكان موقفها يتناغم ومواقف العدو الصهيوني من حيث تمزيق الدولة الفلسطينية وجعلها وهماً في عقول أبنائها والعرب وبسط نفوذها على كل حدود الدولة الفلسطينية تحت مسمى الأمن القومي للدولة العبرية. كما أن هند رحبت بالتعاون مع شوقي الجباسي الذي عرض عليها إدارة المركز فوافقت على الفور وكانت كثيرة التنصت على زوجها رشيد الكاشف, ونقل معلومات أخيه صفوان إلى شوقي وزخاري، وهي التي أعدت نسخة من مفتاح شقة صفوان لتسليمها لأعوان زخاري لاختطافه، وعندما علمت بنبأ اختفاء صفوان لم تبد اهتماماً , وصرح رئيس النيابة من خلال التحريات لزوجها رشيد أنها تتعامل مع الخونة والجواسيس والعملاء في جرائم القتل ضد الشرفاء من

أبناء الوطن وعندما واجهها رشيد بخياناتها أشهرت المسدس في وجهه وهربت. يقول رشيد لزوجته هند : " أنت تآمرت عليّ أخر ما كنت أتصوره عنك أن تتآمري على زوجك، لم أسيء إليك أبداً. هل تذكرين أنني أسأت إليك منذ زواجنا؟

فقالت وهي تتراجع إلى الحائط : " ماذا تقول؟ ماذا تقصد؟

- حرضت شوقي على التخلص مني.
- غير صحيح.
- لا أعفيك وشوقي من إيذاء صفوان.
- أنت تتكلم عن شيء لا أعرفه.
- اختفى صفوان، ولكن سأوقع بكما جميعاً.
- أنت تتهمني. أنت فقدت عقلك.
- استنسخت مفتاح صفوان، فدخلت الشقة". [10]

ويصاب رشيد الكاشف بصدمة كبيرة عندما يكتشف أن زوجته خائنة وعميلة مع مخابرات العدو من خلال تصريح رئيس النيابة له الذي صرح لرشيد بقوله : "للأسف ورد اسم زوجتك هند الجارحي في مكالمة لشوقي الجباسي عن طريق تليفونك بالإسكندرية الذي تم وضعه تحت المراقبة، طلبت هند في المكالمة ضرورة التخلص من همس الجوهري ورشيد الكاشف , لأنها غير آمنه بوجودهما ودعته إلى التصرف السريع قبل أن يصل رشيد إلى الإسكندرية"(11)

وهكذا نجد حتى نهاية الرواية تقوم هند الجارحي بالتعاون مع مخابرات العدو في تصفية الشخصيات الوطنية، فشاركت في اختطاف صفوان الكاشف، ومقتل همس الجوهري، ونبيل جريس. وفي نهاية الرواية تقتل بالطريقة نفسها التي شاركت في تدبيرها لرئيس النيابة ونبيل جريس عندما قتلا خنقاً بغاز البوتاجاز, فقد ماتت هي أيضاً مع الجباسي خنقاً بغاز البوتاجاز عن طريق رجالات أشرف الساعي. وحتى لو كان مقتلها والجباسي وزخاري على سبيل الحلم الذي يتطلع إليه الراوي رشيد الكاشف، إلا أنها رؤية استشرافية

يراها الكاشف، فما لم تتم المعاملة بالمثل فلن يتطهر المجتمع من المفسدين والخونة. فالأرض ملطخة بالدماء ولن تتطهر إلا إذا اتسخت الأيدي بالدماء.

4 – غاية الفعل:

تتمثل غاية الفعل في هذه الرواية في أقصى درجات الصراع التي وصلت إليها الأحداث. وقد وصلت غاية الفعل إلى ذروتها عند اختفاء صفوان الكاشف ومحاولة السطو على مخطوطاته ومذكراته التي يكشف فيها زيف المتآمرين ضد الوطن، وعند مقتل همس الجوهري ونبيل جريس اسطفانون. حينئذ وصلت غاية الفعل في الرواية إلى قمتها ونتج عن غاية الفعل رد الفعل العكسي من حيث مقتل مانويل زخاري، وهند الجارحي وشوقي الجباسي.

وتجسد هذه الغاية حالة الصراع بين قوى الخير والشر في الواقع المعيش , ومن المفارقات أن قوى الخير المتمثلة في الشخصيات الوطنية والمحاربة والمدافعة عن كرامة الوطن في الرواية تنعت عند القطب الأوحد بقوى الشر والعكس صحيح. الأمر الذي يعكس انقلاب المواضفات الحياتية والأعراف والقيم والمعايير, وهذا التناقض يعكس ثنائية التضاد و التناقض القائم في الواقع المعيش بين ماهو كائن وما يجب أن يكون.

5 – محور الرغبة :

يتمثل هذا المحور في الرغبة التي يود الفاعلون تحقيقها في الرواية، وفي هذا الموضع تمثل محور الرغبة في صخب الهمس في عدة أبعاد هي :

1 –محاولة تطهير الوطن من الدخلاء والعملاء والخونة داخلياً وخارجياً، وهذا النهج سلكه صفوان الكاشف عندما رفض الزواج , وجعل همه منصباً في هموم الوطن، لأن الواقع ليس مهيئاً للزواج والمتعة , فالأرض ملطخة بالخيانة والفساد لأجل ذلك يسعى أولاً لتطهير الواقع من مفاسده ومآسيه حتى يصبح بكراً قابلاً للإخصاب والتجدد. لذلك يقول الراوي مجسداً الحوار بين الأصدقاء نبيل وأشرف حول صفوان قال الدكتور نبيل : " هو عازف عن الزواج لأنه لم يجد الإنسانة المناسبة. وعقب المهندس أشرف بصوت

رخيم: أمثال صفوان لا يفيدهم استقرار بمنزل وزوجة وأبناء، ماذا تنتظر من مثقف مهموم بوطنه وبالعالم إلا الزهد في الزواج والأبناء؟" [12]

وهنا نجد الرغبة الأولى لصفوان في الزواج توأد نتيجة متغيرات الواقع. وكذلك الأمر بالنسبة لرغبة رشيد الكاشف في الزواج من همس الجوهري توأد أيضاً , لأن بعض رجالات الأعمال الخونة يسيطرون على الاقتصاد ويتعاونون مع العدو ضد مصلحة الوطن، لأجل ذلك يسيطرون على همس الجوهري، رمز الوطنية والتضحية والفداء والوطن فيتزوجها رجل الأعمال شوقي الجباسي ويسيطر عليها وتصبح نهباً للصوص والعملاء ولا تملك غير (الكلمة) التي تكتبها في صحيفة الشهاب لتكشف زيف المتآمرين

وهنا يتضح التضاد في داخل البنية الأسرية الواحدة، فشوقي الجباسي في واد وزوجته في واد آخر. ولكل منهما اتجاه مختلف عن الآخر. والمحبوبة والوطن لا ينالها العلماء والشرفاء أمثال رشيد الكاشف ولكن ينالها أصحاب الأموال والمتآمرين مع مانويل زخاري ضد الوطن. وهنا توأد الرغبة أيضاً , ونجد وأد الرغبة أيضاً عند رشيد الكاشف عندما يتزوج بهند الجارحي ويظنها زوجة مخلصة له ولأبنائه أكرم وعزيز ولكنه يكتشف فيها الخيانة والجحود.

وهنا يتطلع رشيد وهمس وأشرف للتخلص من العملاء والمفسدين حتى يعود للوطن أمنه واستقراره , وتنعم الأسرة بالزواج والحب. ولذلك كان لزاماً لتحقيق رغبة هؤلاء التخلص من الأشرار أمثال هند وشوقي وزخاري.

2 - تتمثل الرغبة أيضاً في ضرورة الحفاظ على الأمن القومي للوطن الذي أصبح مستباحاً برصاصات العدو على الحدود تارة ، بل وقتل الأبرياء العلماء في عقر دارهم تارة أخرى. يقول الراوي مجسداً الأمن الوطني المستباح :" تذكرت الضابط الشاب الذي أصيب برصاص جندي إسرائيلي جرى التحقيق معه كما زعموا, ولم يسفر عن شيء إلا بزيارة موظف بالسفارة للضابط المصاب بالمستشفى حاملاً معه باقة ورد أبيض". [13]

ويتضح من المخطوطات التي تركها صفوان مدى ضياع الأمن الوطني وكيف أصبح مستباحاً. وكم حذر في مذكراته من مؤامرات العدو في سيناء وغيرها في كل بقاع الوطن.

إن الحب للوطن هو غاية الرغبة الحقيقية للشرفاء والنبلاء لذلك يقول صفوان في إحدى مخطوطاته : " لا يتوقع أحد أن أسكت لساني وأقصف قلمي، كيف ينتظر عاقل من كاتب محب لوطنه أن يكف عن مناوأة التآمر بالكلمة العاقلة والمقنعة والمحذرة[14]". كما أن الرغبة الحقيقية لهؤلاء الشرفاء الفاعلين تتمثل في ضرورة الحفاظ على أمن الوطن واستقلاله وحمايته من أمثال شوقي الجباسي وهند الجارحي ومانويل زخاري وغيرهم.

3 - تتجسد الرغبة أيضاً في ضرورة الحفاظ على المخطوطات الوطنية التي تكشف زيف الأعداء وتآمرهم , لأجل ذلك تحرص همس أشد الحرص قبل قتلها بطعنات الأعداء على تسليم المخطوط لرشيد الكاشف، ويحرص رشيد الكاشف أيضاً على مخطوطات أخيه صفوان التي يحفظها في بيته ويخشى عليها من سطوة زوجته والمتآمرين معها، لذلك كان شديد الحرص في الحفاظ عليها فضلاً عن أنها كشفت زيف المتعاملين مع الأعداء مثل شوقي الجباسي وغيره . يقول في مخطوطه:" أمكن أن أعرف حقيقة الجباسي، فهو رجل أعمال ناجح، يرأس مركز معارف الشرق الأوسط لحقوق الإنسان، وبحكم جمعه للجنسيتين المصرية والأمريكية يعقد صفات خاصة بالبناء والسلاح ويسافر دائماً إلى أمريكا وأوربا يدعمونه بالمال والنفوذ، يحرصون عليه فهو رجلهم القوي في المنطقة، وزار إسرائيل علانية وسراً عدة مرات وله فيها ارتباطات ... شوقي رجلهم القوي في وطننا يفتح الأبواب المغلقة والناس نيام ..كلف شوقي الجباسي بإشعال نار الفتنة في الداخل والخارج" ص 126-127.

وهكذا تكشف مخطوطات صفوان خطط العملاء والخونة والمتآمرين وكذلك يحرص عليها أصدقاؤه أشد الحرص. وتعد جزءاً من موروثهم الوطني. وتشكل رغبة قوية لديهم في الحفاظ عليها. وهنا تتشكل الثنائية المتضادة أيضاً بين الشخصيات الانتهازية التي تسعى لاستباحة الوطن لمصالحها الذاتية والشخصيات الوطنية التي تضحي بنفسها في سبيل الذود عن الوطن ومقدساته.

ثانيا : طبيعة السرد وعلاقته بالشخصية:

تتمثل علاقة السرد بالشخصية من خلال أنماط السرد التي اعتمد عليها الراوي في سرده للشخصية، وعلى الرغم من تعدد هذه الأنماط إلا أننا نقف عند بعد جوهري يقترن بالشخصية السردية وهو السرد الوصفي للشخصية من حيث السكونية أو الحركية.

والمتتبع لتشكيل الشخصية السردية في رواية صخب الهمس يجد أن السرد الوصفي للشخصيات اعتمد على الحركية من أول الرواية إلى آخرها . ونستطيع تبين ذلك من خلال الوقوف عند أي شخصية من شخصيات الرواية حينئذ يتضح لنا الوصف الحركي للشخصية في أدق معانيه لا سيما شخصية رشيد الكاشف يقول الراوي في احد المواضع علي سبيل التمثيل :" نهضت من مكاني وأغلقت التلفزيون والنور، اتجهت إلى غرفة أكرم وعزيز للاطمئنان كانا يغطان في نوم عميق، كانت الساعة تقترب من الواحدة وأنا أراها مستلقية .. انسدلت خصلات الشعر الذهبي على الوسادة الوردية، بدلت ملابسي، واتخذت مكاناً في السرير، نمت على جانبي الأيمن وأنا شارد ومغمض العينين 15".

ويتضح من هذا النص السرد الحركي للشخصية سواءً أكانت الحركة داخلية أم خارجية فالقلق النفسي والتوتر الذي يشعر به راشد تجاه زوجته ينعكس على ممارساته الفعلية في البيت والعمل والشارع وغيره. لذلك نجده شديد الأرق حتى وهو في غرفة النوم بجوار زوجته هند على سرير واحد.

ولعلنا لا نبعد عن الحقيقة حين القول إن السرد الوصفي للشخصية اتسم بالحركية في كل فصول ومشاهد الرواية ويرجع هذا لطبيعة الموضوع الذي تعالجه الرواية من ناحية. ولتكنيك الرواية من ناحية ثانية فموضوع الرواية يعالج الواقع الحياتي الذي يموج بالتوتر والقلق نتيجة التناقض السائد في بيئة المجتمع بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، وبين الشرفاء والأبطال والأحرار من ناحية , والمتآمرين والعملاء والخونة من ناحية ثانية. وكذلك التناقض بين البسطاء المحبين للوطن والمتفانين فيه أمثال همس الجوهري ونبيل جريس ورشيد وغيرهم , والأغنياء الطفيليين والانتهازيين من رجال الأعمال الذين يتاجرون بكرامة الوطن وعزته ويتآمرون على أمنه واستقراره في سبيل تحقيق مآرب ذاتية أمثال شوقي الجباسي وهند الجارحي.

إن بنية التضاد في الواقع الاجتماعي انعكست بدورها على بنية النص فجاء الوصف متسماً بالحركية ليس على مستوى الشخصية فحسب ولكن على مستوى البنى الكلية للراوية ومنها الزمان والمكان واللغة والحدث , والشخصية جزء من هذه البنية الكلية للنص لذلك جاء سياقها السردي الوصفي متسماً بالحركة , وهكذا نجد طبيعة السرد الوصفي للشخصية يتسم بالحركية في كل الرواية مما يعطي السرد بعداً جمالياً على مستوى السياق والمعنى والتركيب والدلالة.

3 – الرؤية السردية للشخصية :

تتشكل الرؤية السردية للشخصية من مجموع السياقات المتضافرة والمتتابعة في النص ويمكن معالجة هذه الرؤية من خلال بعدين :

3–1 الرؤية ووجهة النظر التعبيرية للشخصية.

على الرغم من تعدد مفاهيم وجهة النظر في الرواية إلا أننا نرى أن وجهة النظر التعبيرية للشخصية في الرواية تتشكل من خلال وجهتي النظر الفعالة وغير الفعالة للشخصية ومن خلال المواقف الاجتماعية والسياسية والحياتية التي تعيشها.

ومن خلال تتبع وجهة نظر الشخصيات في رواية صخب الهمس نجد أنها تنقسم إلى قسمين الأول : وجهة النظر الفعالة وتتشكل عند الشخصيات الفاعلة، والثاني : وجهة النظر غير الفعالة وتقف عند حب الرصد والتسجيل للأحداث وتتشكل لدى الشخصيات غير الفاعلة.

أما عن وجهة النظر الفاعلة فنجدها عند رشيد الكاشف، وصفوان الكاشف وهمس الجوهري ونبيل جريس وأشرف الساعي وماهر الغمراوي ومجدي الصياد ومسعد نور وهشام الدواخلي وفهمي طنطاوي، وتتبلور وجهة نظر هؤلاء في ضرورة التخلص من الفاسدين والمتآمرين والخونة والمجرمين والقتلة الذين يتاجرون بأمن الوطن لمصالحهم الذاتية

ولعل أبرز شخصية اعتنقت هذه الرؤية الخلاصية هو صفوان الكاشف الذي عبر عن هذه الرؤية بصورة مباشرة في مذكراته ومخطوطاته. بل عبر عنها من أول لحظة بعد تحقيق الانتصارات في سنة 1973م

وعندما جاءت معاهدة كامب ديفيد، كان يدرك أن المعركة لم تنته بعد يقول الراوي : " لا أنسى قوله عقب صدور قرار تعيينه بالجريدة " معركتي مستمرة لم تنته بعد " وبعد مرور خمسة سنوات أي في سنة 1979م قال وهو يعلق على اتفاقية كامب ديفيد وصور الزعماء الثلاثة السادات وبيجن وكارتر" أرأيت لا تظن أن المشكلة الأساسية قد انتهت16".

ويقول صفوان في موضع آخر أثناء مكالمة هاتفية مع أخيه رشيد الكاشف :"أمن الوطن أكبر من أي اتفاقية، الطائرات والدبابات تعربد على الحدود وبعض جنودنا المرابطين أصيبوا، وبعضهم صرعتهم الرصاصات وشظايا القنابل، المقصودة وغير المقصود". 17

وتتوافق رؤية همس والشخصيات المساعدة حول ضرورة الحفاظ على أمن الوطن وهذا لا يتأتى إلا بالتخلص من الخونة والعملاء وأرباب الفساد. وتتضح هذه الرؤية أيضاً في رسالة همس التي تركتها قبل طعنها والتي تحذر فيها من مانويل زخاري , وشوقي الجباسي فهما الرأسان المدبران لكل مصيبة تصيب الوطن والشرفاء.

على أن شخصية أشرف الساعي تمثل قمة الرؤية الفعلية إنه محارب قديم ويؤمن بالقوة فما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة، ويدرك برؤيته الواقعية أن العدو لا يرتدع إلا بمنطق القوة وأن المفاوضات معه لا تجدي شيئاً. وأن ذراعه التي طالت كل الشرفاء والنبلاء في الوطن لابد أن تقطع لأجل ذلك يتخذ قراره بالتخلص من مانويل زخاري، وشوقي الجباسي، وهند الجارحي، ويعلق في ورقة يتركها عند كل حادثة أن هذا الحادث " ليس قضاءً ولا قدراً . 18" .

يفعل ذلك عندما تخلص من مانويل زخاري وسمعان الواسطي وبهادر الجبالي بخنقهم بغاز البوتاجاز والأمر نفسه عند خنقه لهند الجبالي وشوقي الجباسي . إن الرؤية التي ينطلق منها أشرف الساعي تؤمن بأن لكل فعل رد فعل مساو في المقدار ومضاد له في الاتجاه.

وعلى الرغم من أن هذه الرؤية التي طرحها الراوي تقف عند حد الحلم الذي يتطلع إليه المجتمع ليخلصهم من هزائم الواقع ومآسيه ومفاسده , إلا أنها تعكس وجهة نظر الأنا الجماعية التي تتطلع للخلاص والتطهير.

وهذه الرؤية تقابلها رؤية أخرى مضادة يعتنقها الأشخاص المضادون في الرواية مثل مانويل زخاري وشوقي الجباسي وهند الجارحي , وهي رؤية تتوافق ومصالح العدو الصهيوني من حيث اغتصاب الأرض والوطن، وإشاعة الفساد والدمار في كل أنحاء البلاد والتخلص من الشرفاء والنبلاء وأصحاب المواقف الوطنية. وتتضح هذه الرؤية في كل السياقات السردية لهذه الشخصيات. بدايةً من مانويل زخاري الرأس المدبر لكل الاغتيالات مروراً بشوقي الجباسي الذي ينفذ مع عملائه كل توجيهات زخاري , ونهاية بهند التي تتجسس على زوجها لنقل المعلومات لمخابرات العدو, لذلك يقول رشيد عن زوجته معبراً عن رؤيتها " رأيت في ردود هند مساندة لسياسة الدولة العبرية وتبريراً لما تقوم به من قتل وهدم وتشريد وتهجير"19.

وهكذا نجد أن هذه الرؤية المضادة للشخصيات المضادة يعبر عنها سياق الرؤية. وكأن الرؤية السردية تسير في خطين متضادين الأول : رؤية الشخصيات الفاعلة والمساعدة والثاني : رؤية الشخصيات المضادة , وكلتا الرؤيتين تناقض الأخرى وهذا التناقض يعبر عن التناقض الكامن في البنية الاجتماعية، من حيث بروز فئة مؤثرة ومهيمنة على مقاليد الأمور وتملك الثروة والقوة وتسعى لتحقيق مصالحها الذاتية. وفئة أخرى تمثل السواد الأعظم من المجتمع لا تمتلك شيئا حتى قوتها اليومي, وهي شريحة تمثل كل قطاعات المجتمع. لأجل ذلك كان لابد من بروز الرؤيتين المتضادتين في الرواية .

أما عن وجهة النظر غير الفاعلة فتتمثل في الشخصيات غير الفاعلة في الرواية وتقف رؤيتها عند حد الرصد والتسجيل والمشاهدة فتمثلت في شخصيات عديدة مثل شخصية بثينة فهي لا تملك شيئاً غير أنها تجلس في بيت أخيها رشيد لرعاية طفليه بعد أن هجرتهما أمهما هند الجارحي. وكذلك شخصية جمال زكي الطبيب الذي يعمل في عيادة رشيد أثناء انشغاله بالبحث عن أخيه صفوان، يقوم بالكشف على المرضى بدلاً من أستاذه رشيد الكاشف. ومثل الشخصيات تشكل شريحة أخرى في المجتمع لا تستطيع الاشتراك في الأحداث لكنها تقف راصده ومسجلة لها.

2-3 الرؤية والتشكيل النفسي للشخصية .

ويعني بها الرؤية التي تتوافق والتشكيل النفسي للشخصية من خلال اعتمادها على حالات التداعي النفسي الحر للمعاني والمناجاة النفسية والأحلام والمونولوج الداخلي والخارجي المباشر وغير المباشر والتي تنعكس بدورها على بناء الشخصية في الرواية.

والمتتبع لرواية صخب الهمس يلحظ البعد النفسي الذي يسيطر على بناء الرواية بدايةً من العنوان : " صخب الهمس " وما يحمله من مفارقة لفظية على مستوى المعنى، ونهاية بحالات التطهير النفسي التي مرت بها الشخصية في نهاية الرواية عندما تم التخلص من كل العملاء والخونة والمفسدين.

ففي العنوان " صخب الهمس " نلحظ المفارقة التي تعكس التضاد في الواقع المعيش من حيث الصخب الشديد الذي يعيشه المجتمع لكنه صخب يدوي في النفس الداخلية، ويتحشرج في صدور المجتمع دون خلاص أو نهاية ومن بداية الرواية حتى نهايتها نجد هذا الصخب الداخلي من خلال معركة شديدة بين قوى البطلان والخائنين, والقوى الوطنية الكامنة التي ترصد الأحداث وتقاومها بالقدر المستطاع دون أن يطفو على السطح معركة واقعية بالمفهوم المباشر لهذه الكلمة،

فكل قوة تدبر للأخرى تدبيراً داخلياً لا يطفو على السطح إلا عند وقوع الجريمة. فقد تم اختفاء صفوان وقتل همس ونبيل والغمراوي والفاعل يتحرك في الظلام لا يراه أحد. والناس لا يعرفون الجريمة إلا من خلال الصحف ووسائل الإعلام فتدوي الجريمة وتثير صخباً. ثم سرعان ما يحدث الكمون وفي لحظات الكمون يتم التدبير لجرائم أخرى وهكذا، حتى أن الساعي عندما قتل هؤلاء العملاء ظل الفاعل مجهولاً.

ويظل طوال الرواية كل الفاعلين مجهولين. وهنا تتضح المفارقة بين صخب الجريمة وهمس الفاعل الأمر الذي يعبر عن التناقض السائد في الواقع المعيش بين ما هو كائن وما يجب أن يكون على أن التشكيل النفسي للشخصية يتضح أيضاً في نسيج الرواية من خلال اعتمادها على الترابطات النفسية الشعورية، ويأتي في مقدمتها الرؤية الحلمية التي شكلت بعداً جوهرياً في بناء الشخصية لا سيما الرؤية الحلمية لرشيد الكاشف. فقد ظل طوال رحلة البحث عن المصير المجهول لأخيه صفوان تتداعى على وعيه مشاهد عديدة لأخيه صفوان وبخاصة المؤتمرات التي كان يشارك فيها وانتقاده لسياسة القطب الواحد وسياسة العدو الصهيوني، وتزاحمه في هذه الرؤية صورة همس التي تتداعى على وعيه مقترنة في كثير من الأحيان

بصورة صفوان يقول الراوي في أحد المشاهد الحلمية للرواية " داخلني إحساس بالنعاس، فأغلقت النور وأغمضت عيني ليتملكني خدر أو نوم: رأيته يتحدث في مؤتمر بنيويورك عن سياسة القطب الأوحد. أمام لفيف من العرب والأمريكان وجنسيات أخرى، رأيته وسمعته يهاجم بعنف سياسة الأمر الواقع التي ترزح تحت وطأتها الدول الصاعدة ... ورأيتني أنظر إلى همس الجوهري الجالسة بجواري، تؤمن همس بما يقوله صفوان ورأيتها مشتبكة مع صحيفة من معاريف" 20

وهكذا تتداعى الأحلام على الشخصية لتعبر عن حالات الفقد، فصفوان مفقود ورشيد يعجز عن الوصول إليه فتقفز الأحلام على وعي الشخصية لتكون تعويضاً عن حالات الفقد. وربما تساعد الأحلام أيضاً في فض مغاليق اللغز الذي أدى إلى اختفاء صفوان، وتتتابع الأحلام على وعي الشخصيات لا سيما شخصية رشيد لتكون تعبيراً عن الواقع المعيش والواقع المرجو.

وتتداعى على وعيه أحلام أخرى تجسد المصير المحتوم الذي ينتظرهم لا سيما مصير همس عندما رآها في أحد أحلامه يحيط بها المجرمون من كل صوب كما يحيطون به وبصديقه نبيل جريس وأدرك أن مصيراً محتوماً ينتظرهم. يقول راشد :"تيقظت حواسي وفتحت عيني وتأملت حلمي، نظرت في الطابق الرابع الذي انطفأت أنواره. غادرت السيارة عابراً الطريق، قبل أن أصل إلى السيارة الواقفة أمام مدخل الفيلا رأيتها تنطلق بسرعة الصاروخ وهي تحمل الأربعة. وقفت لحظات وأنا أشاهدها تغيب عن بصري حدست بأن خطراً يدبر لإيذائي وإيذاء جريس وهمس الجوهري لأنني عدت إلى تأمل حلمي".21

ومن هنا نجد أن الحلم يشكل وعي الشخصية عند حسن البنداري في هذه الرواية. ففي واقع تغيب فيه الرؤية، وتطمس فيه معالم الحقيقة، يقفز إلى الوعي الأحلام والرؤى علها تكون دليلاً للطريق المؤدي إلى النجاة أو دليلاً لاستشراف الصورة الغائمة للمستقبل.

على أن هذا التشكيل النفسي للشخصية والمتمثل في سيطرة الرؤية الحلمية على وعيها إنما يعكس التناقض السائد بين الواقع المعيش، والواقع المرجو الذي تتطلع إليه الشخصية. ولا سبيل لها لتحقيق ذلك غير أن تعيش على الحلم لعله يكون حقيقة يوماً ما.

الخاتمة

تناولنا في هذا البحث صورالسجن والاغتيالات المختلفة في الواقع المعيش سواء أودع الروائي السجن أم لا . وأشرنل لبعض الاعمال الروائية التي جسدت هذا النوع من الأدب لاسيما الأدب الروائي نذكر منها على سبيل التمثيل ؛ " على باب زويلة " لمحمد سعيد العريان و " اللص والكلاب " لنجيب محفوظ ، و " والشمندورة لمحمد خليل قاسم ، وشرق المتوسط " لعبد الرحمن منيف ، و" الغرف الأخرى " لجبرا إبراهيم جبرا ، و" صخب الهمس " لحسن البنداري ، وغيرها من الأعمال الروائية العربية .

وقمنا بالتطبيق على رواية " صخب الهمس " 2009 م – على سبيل التمثيل وليس الحصر– للروائي الدكتور حسن البندراي الذي يعد واحدا من الروائيين العرب الذين واكبوا حركة الإبداع الروائي العربي في العقود الأخيرة . وعبرت هذه الرواية عن أدب الاغتيالات ، وجسدت المتغيرات الحياتية التي مر بها المجتمع العربي وتم معالجة هذه الرواية من خلال ثلاثة محاور هي :

1 – الدور الوظيفي للشخصية.

2 – طبيعة السرد وعلاقته بالشخصية.

3 – الرؤية السردية للشخصية.

وقد تم معالجة هذه المحاور من منظور نظرية جريماس ربما لكونها واحدة من أهم النظريات السردية المعاصرة التي تتوافق والتطبيق على التناقض الكائن بين ما هو كائن وما يجب أن يكون . وحاولت هذا البحث معالجة هذه القضية معالجة تتوافق والنظريات السردية المعاصرة .

المصادر والمراجع : ([22])

- البنداري ، حسن : رواية صخب الهمس ، بروصة الكتاب للنشر والتوزيع ، القاهرة 2009
- جبرا ابراهيم جبرا : الغرف الاخرى الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1988 .
- جيرار جينت : خطاب الحكاية بحث فى المنهج ترجمة محمد معتصم واخرون المجلس الاعلى للثقافة ط3 القاهرة 1997.

- سمير المرزوقي ، جميل شاكر : مدخل إلي نظرية القصة ، دار الشئون الثقافية ، بغداد سنة 1986
- فلاديمير بروب : مورفولوجيا الحكاية الخرافية ترجمة وتقديم ابو بكر احمد عبد الرحيم ، النادى الأدبي الثقافى جدة 1989 .
- مُنيف، عبدالرحمن ، شرق المتوسط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2017 .
- وليد نجار : قضايا السرد عند نجيب محفوظ ، دار الكتاب اللبناني بيروت سنة 1985
- يمنى العبد " دكتور": تقنيات السرد الروائي فى ضوء المنهج البنيوى دار الفارابي بيروت 1990.

[1] **https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%87%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF**

[2]) حسن البنداري ، ضخب الهمس ص 21

[3]) المصدر نفسه ص 7

[4]) نفسه ص 124- 125

[5]) المصدر نفسه ص 164

[6]) نفسه ص 150

[7]) نفسه ص 18

[8]) نفسه ص 100

[9]) نفسه : ص 158-159

[10]) نفسه ص 112-113

[11]) نفسه ص 83

[12]) نفسه ص 12

[13]) نفسه ص 6

[14]) نفسه ص 125

[15]) نفسه ص 21

[16]) نفسه ص 9

[17]) نفسه ص 20

[18]) نفسه ص 196

[19]) نفسه ص 16

[20]) نفسه ص 64-65

[21]) نفسه ص 150- 151

22 – المصدر المباشر الذي تم الاعتماد عليه هور رواية صخب الهمس للروائي الدكتور حسن البنداري ، أما ما ورد من مصادر ومراجع أخرى في هذه القائمة فلم يتم الإفادة منه إلا على سبيل العموم في نظرية جريماس , ولكن البحث في مجمله يعود لرؤيتنا ومنهجيتنا في التناول والمعالجة والله ولي التوفيق والسداد .